

برل الاشتراك هو سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نعم العدد ٢٠ مليا

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للادب والفن والعلم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

المعدد ٧٧٧ « القاهرة في يوم الاثنين ١٥ رجب سنة ١٣٦٧ — ٢٤ مايو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

مقاييس الأعمال

للأستاذ عباس محمود العقاد

—>>><<<—

أعمال الناس لا تقاس بمقياس واحد .

لأنها قد تقاس بحسب النيات ، وقد تقاس بحسب الغايات ، وقد تقاس بحسب الأشخاص الذين يتولونها ، وقد تقاس بحسب المناسبات التي تقع فيها .

فتختلف المقاييس على حسب اختلاف هذه الأحوال .

مثال ذلك أنك تنعى الطفل الصغير عن طعام يشغل عليه وتستبيح أنت تناوله ، وتكون على صواب في الحالتين .

وأنت قد تنهى في حالة المرض عن طعام تبذره إياه في حالة الصحة ، ولا تخطئ في هذا الاختلاف .

وأنت قد تمنع أخاك الصغير عن معاشرة أناس ، ولا ترى أنت حرجاً في معاشرتهم ، لأنك لا تخشى منهم على نفسك كما تخشى منهم عليه .

وقد يحدث العمل الواحد فيلتقاه رجل بالاستخفاف ويلتقاه غيره بالغضب ، ولا اختلاف في الأمر غير اختلاف المزاج .

وقد يشتر الإنسان ما ليس بفتنه غيره ، لاختلاف بينهما في وجهة النظر ، وإن كان كلاهما من أغافل الناس .

هذه الملاحظة ، أو هذه الملاحظات ، تزيد كثيراً من التباس

فيما يعرض في سيرة عمر بن الخطاب من الاختلاف بين حكمه على بعض الأعمال وحكم النبي عليه السلام على تلك الأعمال ، وكل ما يستفاد من ذلك أن أفق الأخلاق الإنسانية واسع فسيح ، وأنها تتسع لكثير من العوارض والأطوار ، ولا يستفاد من ذلك حتماً أن هناك تناقضاً في الأعمال والأحكام .

وقد سألتني الطالب النجيب « حسين حسين الجزار » ، بدراسة فاروق عن بعض هذه الأعمال التي اختلفت فيها وجهات النظر بين النبي والفاروق ، قرأت من المفيد في دراسة النفس الإنسانية ، وفي دراسة المعطاء على الخصوص ، أن أبين الوجه الصحيح في النظر إلى هذه الفروق ، بحيث يبدو من هذا النظر أن عمل النبي جائز من النبي ، وأب عمل الفاروق جائز من الفاروق ، ولا تناقض هناك ، ولا غرابة في كلا الأمرين .

سألتني الطالب الأديب عن قصة الجارية التي كانت تضرب بالدف بين يدي النبي ، فما هو إلا أن دخل عمر حتى وجت الجارية وأمرعت إلى الدف تخفيه . فقال النبي إن الشيطان — أو إن شيطانها — ليخاف منك يا عمر !

وموضع العجب عند الطالب النجيب أن تعمل الجارية في حضرة النبي ما لا تعمله في حضرة الفاروق .

ولا عجب هناك ؛ فإن كل ما هنالك من الفرق بين الأمرين أن الجارية أُنست إلى سماحة النبي ، ولم تأنس إلي شدة عمر . ولا غرابة في الشدة هنا أو السماحة هناك .

والكلام في هذه القصة عن شيطان الأغاني والشعر

وفي كل زمان . فإن القضاء قد يدين مجرمًا بحكم القانون ، ثم يعفو عنه الملك لسبب يراه ، ولا يقال إن في الأمر مخالفة للمعدل أو للشرعية ، وإنما هو اختلاف للتقدير الذي قضى بالعفو ، والتقدير الذي قضى بالمعاقب .

واختلاف التقديرين بين النبي العظيم وصاحبه العظيم ، كما قلنا في عبقرية عمر « هو الفارق بين إنسان عظيم ورجل عظيم . فالنبي لا يكون رجلاً عظيماً وكفى ، بل لابد أن يكون إنساناً عظيماً ، فيه كل خصائص الإنسانية الشاملة التي تتم الرجولة والأثوثة والأقوياء والصفاء ، وتهيؤ الفهم عن كل جانب من جوانب بني آدم ، فيكون عارفاً بها وإن لم يكن متصفاً بها ، قادراً على علاجها ، وإن لم يكن ممرضاً لأدوائها ، شاملاً لها بطقه ، وإن كان ينكرها بفكره وروحه ، لأنه أكبر من أن يلقاها لقاء الأنداد ، وأعذر من أن يلقاها لقاء القضاة » .

والمعنى البسيط الذي يفهم من هذا الفارق ، ومن جميع الفوارق ، أن النبي ليس هو عمر ، وأن عمر ليس هو النبي ، وأنهما لا يلزم أن يكونا على غطاء في الفهم والشعور ، وإن كان لكل منهما نصيب من العظمة ومكارم الأخلاق .

وسؤال آخر في علم النفس بشأنه الطالب الأدب فيقول : « إن العالم الإيطالي يقرر أن من صفات العبقرية الطول البائن ، أو القصر البين » ثم يسألني : « لماذا لا يجد الأستاذ من هذا القول ! أليس الطول البائن زيادة عن الحد المطلوب ، أو عن تناسب القوام ؟ » .

ومن الواجب أن نذكر أننا لا نتكلم هنا في فروض وتقديرات ، ولكننا نتكلم في واقع لا شك فيه ، وهو أن عمر كان طويلاً مفرطاً في الطول ، وكان كما وصفه يمشي كأنه راكب ، وكان مع هذا عبقرياً بشهادة النبي وشهادة الصحابة وشهادة الأعمال .

فلا حيلة لنا في هذه الصفة ، ولا مخرج منها بالفروض والتقديرات .. كان طويلاً وكان عبقرياً . فلماذا نقول إن لبروز قد أخطأ في تصويره للازمات العبقرية ، وهو قد أسأب ؟ وبعد فالكلام عن العبقرية غير الكلام عن التناسب . لأن

والأهازيج : أي عن شيطان الفنون على الإجمال ، وليس شيطان الفنون في حكم الدين أو الأخلاق كشيطان المأصبي والشرور . والمرجع - بعد - في هذه القصة إلى الجارية ومن تأنس إليه . وقد تأنى جارية في حضرة السلطان ، ولا تأنى في حضرة رئيس الشرطة مثلاً أو قائد الجيوش ، ولا يقال إن هذا أو ذاك أعظم عندها من السلطان . وإنما المسألة كلها في هذه المواقف مسألة الأتس والارتياح . وليس لنا أن نسأل مفتياً أو فناناً ، لماذا يرتاح إلى هذا المقام ، ولا يرتاح إلى ذلك المقام .

ولم يكن عمر رضى الله عنه يحرم ما أحله النبي عليه السلام في هذا الصدد . فقد قرأ الطالب الأديب ولا شك أن عمر سمع ضجة في مكان فقيل له إنه عمر بن . فقال : هلا حركوا غرايلهم : أي طبولهم . فلا تحريم في الأمر ولا تحليل ، وإنما هو كما قدمنا مسألة ارتياح « شخصي » لا يحاسب عليه صاحبه بحساب الإلزام .

وسأل الطالب الأديب كذلك عن قصة الأسود بن شريح ، الذي كان ينشد النبي بعض الأماديح ، فاستنصته النبي صريخاً إذ دخل عليهما عمر والشاعر لا يعرفه . فصاح : وا شكلاه ! من هذا الذي أسكت له عند النبي ؟ فقال النبي : هذا عمر . هذا رجل لا يحب الباطل .

ويسأل الطالب : كيف يقبل النبي ما لا يقبله القاروق ؟ وينبغي أن نعرف أولاً ما هو معنى الباطل المقصود في هذه القصة . فإن الباطل قد يكون بمعنى المزاح : يقال بطل في حديثه بطلالة أي هزل ومزح . وقد يكون بمعنى الشيء الذي لا غناء فيه ، أو الشيء الضائع ، أو الشيء الذي تقل جدواه ، وقد يكون مقابلاً للحق مقابلة الشيء وما لا يشبهه ، لا بمقابلة النقيض للنقيض .

وموضع السؤال الحق هنا : أي الرجلين كان أولى بمخاطبة النبي عليه السلام ؟ الأسود بن شريح أو عمر بن الخطاب ؟ ولا خلاف في الجواب .

أما أن النبي يتسع صدره للكلام لا يتسع له صدر عمر ، فليس من اللازم أن يمنع النبي كل ما يعمه أصحابه ، ولو كانوا على صواب . ونحن نرى مصداق ذلك في كل شريعة وكل نظام